

إذا عاد المساء ..

قصة جديدة بقلم محمد هاشم

المادىء . كان الصبي يتمنى لو تكلمه امه وتطيل التحدث اليه ، لو تقص عليه بعض القصص كما كانت تفعل من قبل ؛ لكنها بدت في هذه الليلة جامدة لا تنطق بكلمة ولا تفكر في الصبي أبداً بل في أشياء اخرى . وإلا لم لا تكلمه عن العفاريث ؟ أو على الأقل تخبره إلى أي محل يسيران ؟! وتذكر ليلة أمس التي قضياها قرب الجامع القديم ، وقد افترشا الرصيف العام . كان الصبي في أول الليل فرحاً وقد نام عن كئيب من أمه لا يأتي بآية حركة ، لكن ما إن قرب الفجر حتى أصبح الجو قارساً لا يحتمل ، فسرت في جسده رعدة باردة ، وودّ لو يتغطى بشيء دافئ ، لحاف مثلاً ، أو بطانية صوف سوداء ، أو حتى حائط الجامع هذا ، فدرس جسمه الصغير بين يدي امه التي استيقظت في الحال فزعة وزعقت بوجهه ثم استوت قائمة .

لمح الصبي الجامع القديم ، فهمس في نفسه « لا بد أننا سنقف هنا كالبارحة » لكن الام لم تتوقف وإنما سارت إلى الامام تسحبه بيدها الغليظة . ونفذ صبر الصبي فقال بصوت متقطع :
— هذا .. الجامع .. ماما ..

— لكم هو طويل هذا الشارع يا امه !
فأجابت الام على الفور بلهجة جافة قاطعة :
— سنصل ..

عند ذلك رفع الصبي رأسه الصغير وحدق في وجه امه مستفسراً وهو يلهث من التعب إذ كان يتابع خطوات امه الكبيرة بخطواته الصغيرة السريعة فيبدو كالراكض . ولم يستطع حبس الكلمات التي تجمعت في رأسه ، فقال بصوت مرتجف كمن يتوقع شراً مستطيراً :
— أين ؟

التفتت اليه امه وزمت شفتيها بقوة ، ورأى الصبي عينيهما تلمعان ودموعاً تترقرق فيها . فنظر اليها منتظراً الجواب ، لكنها لم تحر جواباً ، وإنما عادت تنظر إلى الامام في الدرب الطويل ، وشعر الصبي بقبضة امه الكبيرة تشد على يده بقوة اكثر من ذي قبل ، وها هي تزداد قوة حتى أخذ يشعر بخدر يسري في كفه الصغيرة ، فود لو ينبه أمه إلى ذلك لكنه خاف من عينيهما الدامعتين فصمت . وتابع السير في ذلك الشارع

حادثة أو سياق أو قرينة ، وإنما تسمع في الحوار . وهكذا يبدو للقاريء جلياً ان المجموعة تتألف من افاصيص سطحية تافهة ذات حبكة هزيلة . وهي كما قلنا ربما كانت تسلي ولكنها لا تعلم شيئاً ولا تثير شعوراً إنسانياً ولا تهز إحساساً فنياً . إنها ترود السطح ولا تسبر الغور . وإذا صورت جانباً من واقع ، كانت وثيقة باردة لا تستشرف المستقبل وليس فيها اي نزوع خلاق . ونحسب ان المؤلف لا يكتب عن « ضرورة » أو عن « حاجة » لا بد له أن يستجيب لها ، وإنما يكتب عن رغبة في التسلية ليس غير ؛ وهذا هو الشعور الذي يبعثه لدى القاريء وقد شعرنا بمثله في « خطيئة الشيخ » و « الحاج مجبوح » .

بقيت لغة المؤلف ، وهي دون ريب لغة جميلة سلسلة صافية . ولكن ما عساها تكون قيمة وسيلة التعبير في أثر لا قيمة فنية له ؟
سهيل ادريس

ولئن كان في اقصوصة « اديب » حكاية ، فهي فارغة من اي محتوى فكري : حكاية اديب اعمى مشهور اتخذ احد الملوك مستشاراً له ؛ ولكن زوجة الملك كانت تتردد عليه لتراقبه في عمله مما جعل اللسنة تنالها بالسوء . وشاء الملك ان ينتقم منها فأمر بان « تعير امرأته المتهمة احدى عينيهما للأعمى الذي شك في إخلاصه ، فسلبها بذلك ضياء الجمال ، وأفقدته نور العقل ، وكتب اسمه في لوحة الخالدين من الظالمين ! » . وليس ل « عودة الغائبة » فكرة واضحة ، وأما « زارع الاكي دنيا » فحكاية تاريخية للأطفال .

وهذه الأفاصيص جميعاً لا تمثل ، بعد ذلك ، أية قيمة فنية ؛ فهي لا تخلق مثلاً اي « جو نفسي » خاص ، ولا تحلل أية شخصية هامة ، ولا تصور نماذج بشرية متميزة ؛ وبما يزيد في إضعافها فنياً ارتفاع لهجة العظة والدرس ، هذه اللهجة التي لا تستنتج من

